والسنة لكن بتأويلات يخالفهم غيرهم فيها وهذا هو الذي انكره ائمة الاسلام
على من انكره من فقهاء اهل الرأي بالحجاز والعراق وبالغوا في ذمه وانكاره
فاما الائمة وفقهاء الحديث فانهم يتبعون الحديث الصحيح حيث كان اذا
كان معمولا به عند الصحابة ومن بعدهم او عند طائفة منهم فاما ما اتفق السلف
على تركه فلا يجوز العمل به لانهم ما تركوه الا على علم انه لا يعمل به قال عمر بن عبد
العزيز خذوا من الرأي ما يوافق من كان قبلكم فانهم كانوا اعلم منكم فاما ما
خالف عمل اهل المدينة من الحديث فهذا كان مالك يرى الاخذ بعمل اهل المدينة
والاكثرون اخذوا بالحديث ومما انكره ائمة السلف الجدال والخصام و
المراء في مسائل الحلال والحرام ايضا ولم يكن ذلك طريقة ائمة الاسلام
انما احدث ذلك بعدهم كما احدث فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف
بين الشافعية والحنفية وصنفوا الكتب الخلاف ووسعوا البحث و
الجدال فيها وكل ذلك محدث لا اصل له وصار ذلك علما مهما حتى شغلهم
عن العلم النافع وقد انكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في
السنن ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدال ثم قرأ ما ضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم خصمون وقد بعض السلف اذا اراد الله بعبد خيرا فتح
له باب العمل واغلق عنه باب الجدال واذا اراد الله بعبد شرا اغلق
عنه باب العمل وفتح له باب الجدال وقال مالك ادركت اهل هذه البلدة
وانهم ليكرهون هذا الاكثار الذي فيه الناس اليوم يريدون المسائل وكان
يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول يتكلم احدهم كانه جمل مغتلم يقول
هو كذا هو كذا يهدر في كلامه وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول
قال الله عز وجل ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي فلم يأته
في ذلك جواب وقيل له الرجل يكون عالما بالسنن يحادل عنها قال
لا ولكن يخبر بالسنة فان قبلت منه والا سكت وقال المزاح والجدال
في العلم يذهب بنور العلم وقال المراء في العلم يقسي القلوب ويورث الضغن
وكان يقول في المسائل التي يسئل عنها كثيرا لا ادري وكان الامام احمد يسكت
سبيله في ذلك وقد ورد النهي عن كثرة المسائل قيل وقوع الحوادث وفي

وفي ذلك ما يطول ذكره ومع هذا فكلام السلف والائمة كمالك والشافعي
واحمد واسحاق قليل بالنسبة الى ما تكلم الفقهاء ومدارك الاحكام بكلام
وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير اطالة ولا اسهاب وفي كلامهم من
رد الاقوال المخالفة للسنة بالطف اشارة واحسن عبارة بحيث يغني ذلك
من فهمه عن اطالة المتكلمين في ذلك بعدهم بل ربما لم يتضمن تطويل
كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والائمة مع اختصاره
وايجازه فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال من سلف الامة جهلا
ولكن سكتوا عن علم وخشية لله وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم الا
بعلم دونهم ولكن حبا للكلام وقلة ورع كما قال الحسن وسيم قوما يجادلون
قال هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم وتكلموا وقال
مهدي بن ميمون سمعت محمد بن سيرين وماره رجلا فغلظ له فقال اني
اعلم ما يريد اني لو رددت ان اماريك كنت عالما بابواب المراء وفي رواية قال
انا اعلم بالمراء منك ولكني لا اماريك وقال ابراهيم النخعي ما خاصمت قط ولا
قال عبد الكريم الجزري ما خاصم ورع قط وقال جعفر بن محمد اياكم والخصومات
في الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق وكان عمر بن عبد العزيز يقول اذا
سمعت المراء فاقصر وقال ان السابقين عن علم وقفوا وبصر ناقد قد كفوا وهم
كانوا هم اقوى على البحث لو بحثوا وكلام السلف في هذا المعنى كثير جدا وقد
فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا ان من كثر كلامه وجداله وخصامه
في مسائل الدين فهو اعلم ممن ليس كذلك وهذا جهل محض وكابر الصحابة
وعلمائهم كابي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف
كان كلامهم اقل من كلام بن عباس وهم اعلم منه وكذلك تابعوا التابعين
كلامهم اكثر من كلام التابعين والتابعون اعلم منهم فليس العلم بكثرة
الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق
ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة
للمقاصد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم واختصر
له الكلام اختصارا ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل
والقال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لم يبعث نبيا الا صلعا وان
تشقيق الكلام من الشيطان يعني ان النبي انما يتكلم بما يحصل به الابلاغ